

۱۷

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

صَفِيَّةُ بِنْتُ حِمْيَرَ أَخْطَبُ

الجزء الثاني

حكمة زواج النبي ﷺ منها

يقلم : د. وجيه يعقوب السيد
پریشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى

کتابخانه ملی افغانستان اسلام آباد

تزوج الرسول ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب اليهودية الأصل ، بعد أن أسلمت وحسن إسلامها ، وبرغم سعادة المسلمين بهذا الزواج الإنساني ، فقد أبدوا خوفهم على رسول الله ﷺ منها ، حيث خشوا أن تدبر له حيلة تتخلص بها منه انتقاماً لأهلها وقومها .

ففي تلك الليلة التي دخل فيها الرسول ﷺ بزوجه صفية ، ظل « أبو أيوب الأنصاري » بالقرب من منزل الرسول ﷺ وهو يحمل سيفه ، فلما أصبح الرسول ﷺ سأله في دهشة :

مالك يا أبا أيوب ؟

فأجاب :

- يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فحفتها عليك .
فدعا الرسول ﷺ لأبي أيوب وقال :
- اللهم احفظ أبا أيوب كما يات يحفظني !

ثم أمره بالانصراف بعد أن أشاد بصدق صفية وحسن إسلامها .

وقد تأكد الرسول ﷺ بنفسه من حب صفية بنت حيى له وخوفها عليه من اليهود فى تلك الليلة التى تزوجها فيها .
ففى أثناء عودتها مع الرسول ﷺ أراد أن يقيم ليلة العرس فى مكان قريب من ديارها فأبت صفية ذلك ،



حتى إن الرسول ﷺ أغضبه ذلك ، فلما اقتربا من المدينة ووصل النبي ﷺ إلى داره ، تزينت صفية على أحسن ما يكون ، وأقام لها الرسول ﷺ ليلة عرس تليق بها . وخطر للرسول ﷺ أن يسألها عن سبب رفضها النزول في الدار التي أعدها أولاً فقال لها :

- ما حملك على الامتناع من النزول أولاً ؟
فقلت صفية :

- خشيت عليك من قرب اليهود .

فزاد ذلك من حبها في قلب النبي ﷺ وتأكد من حسن إسلامها واتباعها له .

ولما سأل النبي ﷺ زوجته عائشة عن رأيها في صفية وقال لها :

- كيف رأيت يا عائشة ؟

فقلت عائشة :

- رأيت يهودية !

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- لَا تَقُولِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهَا أَسْلَمَتْ وَحَسَنَ إِسْلَامُهَا .

وَلَيْسَ بَعْدَ شَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةٌ ، فَهُوَ لَا يَنْطِقُ

عَنِ الْهَوَى ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوْحَى .

وَلِذَلِكَ فَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتَأَلَّمُ كَثِيرًا إِذَا أَغْضَبَتْ

إِحْدَى نِسَائِهِ صَفِيَّةَ بِنْتُ حَيٍّ وَذَكَرَتْهَا بِأَصْلِهَا الْيَهُودِيَّ .



فقى إحدى الغزوات ، اصطحب الرسول ﷺ صفية بنت
حبي وزينب بنت جحش ، وفي الطريق اعتل بعير صفية ،
وكان مع زينب بنت جحش بعيران ، فقال لها النبي ﷺ :

- إن بعير الصفية اعتل ، فلو أعطيتها بعيراً ؟ !

فقالت زينب :

- أنا أعطى تلك اليهودية !

وغضب الرسول ﷺ حين سمع هذه الكلمة من زينب ،
ونهاها عن التلطف بها مرة أخرى ، ولم يكتف ﷺ بذلك
بل ظل تاركاً دار زينب ثلاثة أشهر كاملة لا يأتيها بسبب
ما قالت في حق صفية (رضي الله عنها) .

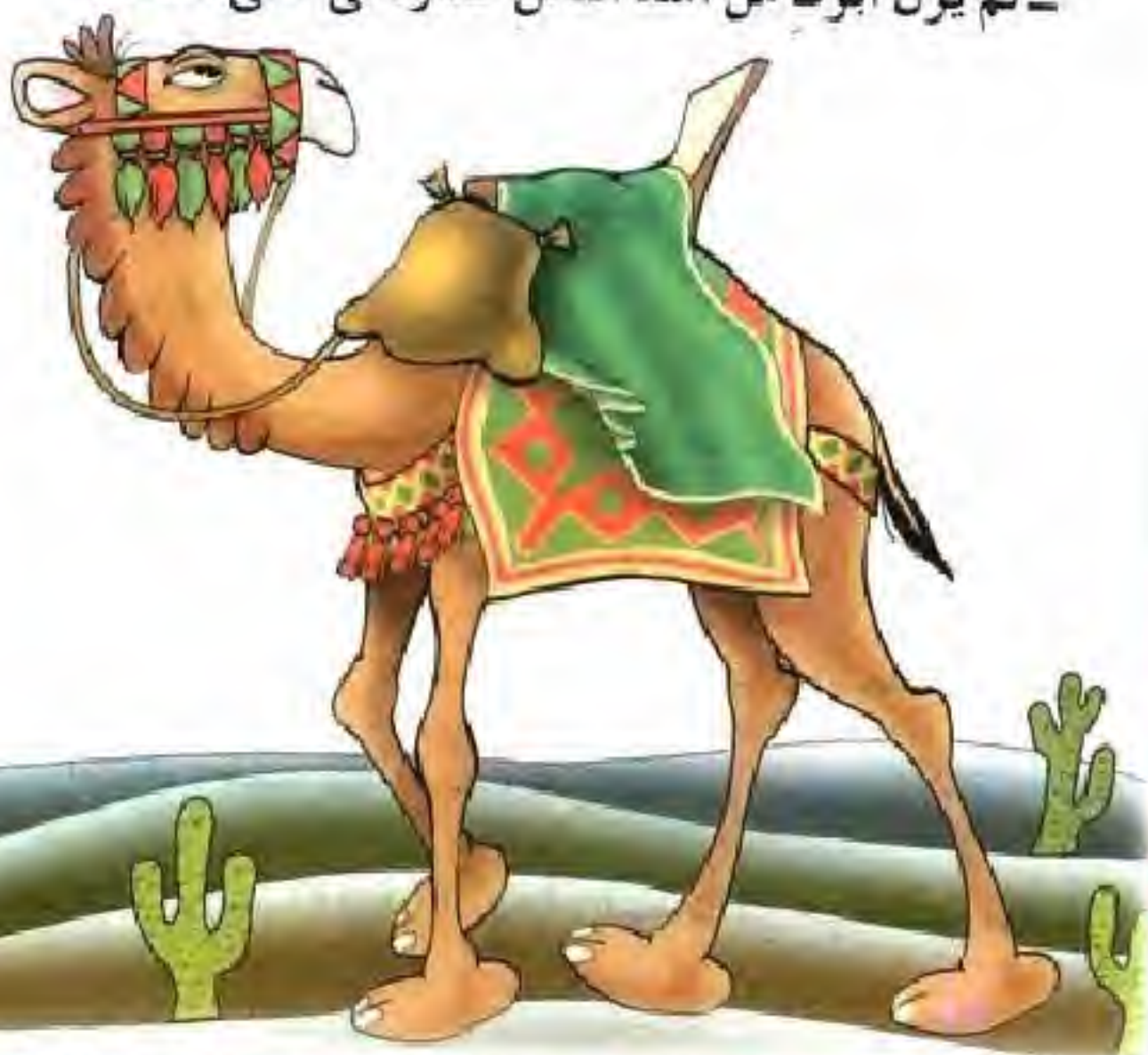
وعاشت صفية (رضي الله عنها) في بيت النبي ﷺ
سعيدة راضية ، ووجدت في الرسول ﷺ الزوج والأب
والأخ ، وفوق هذا كله وجدت فيه الرسول الإنسان ، الذي
يفيض على من حوله بالحب والعطف ، ويتألم لآلام الناس ،
ويأسى لجراحهم ، ولعله قد تألم لما حدث لها ففرق

لها قلبه الكبير وأغدق عليها من حبه وعطفه .

وسعد الرسول ﷺ بصفية ، فقد كانت امرأة صالحة
شديدة الذكاء والفطنة ، يدل كلامها على براعتها وذكائها
الشديد .

ففي أول يوم رآها فيه الرسول ﷺ قال لها :

- لم يزل أبوك من أشد الناس عداوة لي حتى قتلته .



فقلت :

- يا رسول الله ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [سورة الإسراء : ١٥]

فلما خيّرَها الرسول ﷺ بَيْنَ الْعِتْقِ أَوْ الْبَقَاءِ مَعَهُ قَالَتْ :

- بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

ولاحظ الرسول ﷺ أَثَرَ لُطْمَةٍ قَدِيمَةٍ عَلَى وَجْهِهَا فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ صِفَةَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْهَا مِنْذُ أَعْوَامٍ ، إِذْ رَأَتْ قَمَرًا وَقَعَ فِي حَجَرِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ وَقَصَّتْ عَلَى أُمِّهَا الرُّؤْيَا قَالَتْ لَهَا :

- مَا هَذَا إِلَّا أَنْكِ تَتَطَلَّعِينَ إِلَى مَلِكِ الْعَرَبِ مُحَمَّدٍ .

ثُمَّ لَطَمَتْهَا عَلَى وَجْهِهَا لُطْمَةً قَوِيَّةً تَرَكَتْ هَذَا الْأَثَرَ عَلَيْهِ ، وَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى صَفِيَّةٍ فِي شَفَقَةٍ ، وَقَدْ أَسْعَدَهُ مَا قَالَتْ لَهُ ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ ﷺ بِابْتِسَامَةٍ رَاضِيَةٍ .

لَقَدْ أَشَاعَتِ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ،

فقد كانت بارعة في الحديث ، شديدة الذكاء والفطنة ،
كما كانت جميلة الخلق والخلق .

قالت عنها ماشطتها :

- ما رأيتُ بين النساء أجملَ منها .

وحاولتُ صفيّة أن تكفر عن ذنوبها السابقة ، فراحَت
تتقربُ إلى الله بالطاعات والأعمال الصالحة ،



وكان ماضيها وماضي أسرتها وأهلها في مُحاربة الإسلام
أمرًا يُقلِّقها للغاية ، وكم تمنت أن يمحي عنها هذا التاريخ
وهذا النسب الذي لا يُشرفها ، حتى لا يجد أحد في ذلك
فرصة للطعن في دينها وإسلامها .

لكن الرسول ﷺ ، كان يخفف عنها هذا الشعور ، فهي
وإن كانت تنتمي إلى اليهود ، فقد كان جدها هارون عليه السلام
يهوديًا ، كما كان عمها موسى عليه السلام نبيًا عظيمًا ، فلماذا
لا تنتسب إلى هؤلاء الأنبياء العظماء بدلًا من حفنة من
الأشرار ؟

جلست صفية مع عائشة وحفصة ذات يوم ، فقالا لها
كلامًا أغضبها ، حيث ذكرا لها أصلها اليهودي ، ولما دخل
عليها الرسول ﷺ رآها تبكي فسألها عن سبب بكائها
فقالت :

- ذكرت عائشة وحفصة أنهما خير مني لأنني كنت امرأة
يهودية !



وأضافت صفيّة قاتلة وهي تمسح دموعها :

- لقد قالت لي : نحن أكرم على رسول الله ﷺ منك ،

فنحن أزواجه وبنات عمه .

فمسح الرسول ﷺ دموعها بردائه وقال لها :

- ألا قلت لهما : وكيف تكونان خيراً مني ؟ وزوجي

محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى .



وأَرْضَى هذا الكلامُ صفيةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) ، ونَزَلَ
على قَلْبِهَا برِّداً وسلاماً ، فحمدتُ رَبَّهَا على ذلك ، وظلَّ
لسانُها يرددُ كلَّ حينٍ في افتخارٍ :

- زوجي محمدٌ ، وأبي هارونُ ، وعمِّي موسى !

ومنذُ أنْ عرفتُ صفيةَ الإسلامَ وذاقَ قَلْبُهَا حلاوةَ الإيمانِ ،
وهي تُخْلِصُ للرسولِ ﷺ وتُحِبُّه حبًّا شديداً ، فقد كان ﷺ
بأخلاقِهِ الرائعةِ سبباً في إسلامِها .

وفي مرضِ الرسولِ ﷺ الأخيرِ الذي ماتَ فيه ، عَبرَتْ
صفيةٌ عن شَعُورِهَا الصَّادِقِ تجاهَ زوجها ورسولِها ﷺ ، فقد
دَخَلَتْ على الرسولِ ﷺ وهو جالسٌ بينَ بعضِ نِسائِهِ ،
فراَتِ الأَلَمَ يَشْتَدُّ عليه ، فبَكَتُ بكاءً حارًّا ، وقالتُ :

- إِنِّي وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَوَدِدْتُ أَنَّ الَّذِي بَكَكَ كَانَ بِي .

فَنَظَرَتْ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَعْضِهِنَّ ، كَأَنَّهُنَّ غَيْرُ
مَصْدُقاتٍ ما تَقُولُهُ صفيةٌ ، فغَضِبَ الرسولُ ﷺ مِنْ
تَغَامُزِهِنَّ بِهَا وَقَالَ لِهِنَّ :

والله ، إنها لصادقة .

وبعد وفاة الرسول ﷺ ، وقى خلافة عمر بن الخطاب ،
أرادت جارية لصفية (رضى الله عنها) أن توقع بينها وبين
أمير المؤمنين فذهبت إليه وقالت له :

— إن صفية تحب السبت ، وهو يوم احتفال اليهود ،
وتتصدق على اليهود وتصلهم بأموالها .



وبعث عمرُ بن الخطاب إلى صفية (رضى الله عنها)
وسألها عن ذلك فقالت :

- أما السبُّ ، فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة ،
أما اليهود فإن لى فيهم رحماً ، فأنا أصلها .

وسألت صفية (رضى الله عنها) جاريتها التى كانت
تحسن إليها :

- ما حملك على هذا ؟

فقالت الجارية وهى تظهر ندمها :

- الشيطان .

فقالت لها صفية :

- اذهبى ، فأنت حرة .

- لقد كانت السيدة صفية بنت حى بن أخطب يهودية

ذات يوم ، وكان أهلها جميعاً يضمرون العداء والكراهية

للمرسول ﷺ ، لكن الله (تعالى) شاء لها الهداية ،

وأنعم عليها بأن صارت زوجة للرسول ﷺ ، وكان هذا
 الزواج نبياً بمعنى الكلمة ، وكان توقُّعته موقِّفاً للغاية ،
 حيث أخرج صفية (رضى الله عنها) من الظلمات واليأس
 والكفر إلى رحابة الإيمان وسمو تعاليمه .



ونالت صفية (رضى الله عنها) رضا الرسول ﷺ ،
فشهد لها بحسن الإسلام والصدق ، ولذلك فقد روى عنها
كثير من العلماء ، حيث روى عنها ابن أخيها كنانة ،
ومولاهما يزيد بن معتب ، وزين العابدين علي بن الحسين ،
واسحاق بن عبد الله بن الحارث بن مسلم بن صفوان .

وفي العام الثاني والخمسين للهجرة ، وفي خلافة
معاوية بن أبي سفيان ، توفيت صفية (رضى الله عنها) ،
رحمها الله رحمة واسعة ، ونفع أمهاتنا ونساءنا وبناتنا
بسيرتها العطرة .

(تَمَّت)

الكتاب القادم

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان (١) الاختيار الصعب

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٧٨٢٤

التقديم الدولي : ٢ - ٧٨٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧